مبادرة السلام ومبادرة الحرب

منذا الذي يتساءل بعد عمّا يريده الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين وحولها ؟!

منذا الذي يشك بعد في النوايا الصهيونية التوسعية العدوانية في أرضنا ؟!

منذا الذي يظن بعد أن اليهود فريقان ، فريق يحب السلام وآخر يعرقل السلام ، ويظن أن نزعة السلام ستتغلب على الطبيعة اليهودية فيكتفي الغاصب يوماً ما بجزء مما اغتصب ويتراجع عن جزء آخر ؟!

منذا الذي يحسب بعد أن الدول الصليبية الغربية أو الدول الشيوعية الشرقية جاهلة بحقيقة النوايا الصهيونية والأهداف اليهودية في أرضنا .. ويحسب أنّا إذا كشفنا الغطاء عنها لتراها ، انحازت إلى جانب الحق وتخلت عن تأييد الباطل وعن دعم الباطل بالسلاح والمال يتدفقان من الغرب ، وبالطاقة البشرية من المهاجرين يتدفقون من الشرق ؟!

وإلى متى .. إلى متى تستمر المؤامرات والمخططات تنفذ داخل حدودنا وخارجها ، وينساق فيها من غرق إلى أذنيه في صراع النفوذ بين الشرق والغرب ، فبات جاهلاً أو متجاهلاً لمصلحة أمته وبلاده ، خادماً طيّعاً لمصالح الشرق أو الغرب .. ؟! أفلا يعلم أن الشرق والغرب على السواء على استعداد للتخلي عنه وعن خدماته -كما تخليا عن سواه -في أول مناسبة تتعارض فيها المصالح أو تتبدل فيها المخططات ؟!

إنّ زعماء إسرائيل .. وأنصار إسرائيل لا يتركون فرصة تمضي دون المضي في العدوان ، كاشفين الأقنعة عن التحالف الرهيب ضد المسلمين وبلادهم ، بل وحتى ضد دعاة (السلام) والتصفية .. فمتى .. متى يستيقظ الغافلون من أوهامهم ، ويعود المصرون على الباطل إلى رشدهم ، ويضعون مصلحة إسلامهم وبلادهم وشعوبهم فوق كل مصلحة سواها ؟! ..

بأيّ منطق يبادرون إلى (السلام) الظالم .. ويتشبثون بما ينسجون له من أشكال ، في إطار الأمم المتحدة حيناً ، وعلى أعتاب مجلس الأمن الدولي حيناً آخر ، وفي أروقة جنيف المستعصية حيناً ثالثا .. في مفاوضات الوساطة تارة ، والمفاوضات المباشرة أخرى ، وتقديم التنازلات تلو التنازلات دون مقابل تارة ثالثة .. بأيّ منطق يستمرون على هذا كله أو بعضه ، ويتنازعون فيما بينهم على تفاصيله وأساليبه .. وإسرائيل ، وزعماء إسرائيل ، وأنصار إسرائيل يبادرون إلى حرب شعوبهم وحرب بلادهم بكل صورة وسبيل وعلى كل مستوى وصعيد ؟! .

* * *

كان آخر درس تلقنه إسرائيل لدعاة السلام حملتها العسكرية من البحر والجو على قواعد الفلسطينيين ومخيماتهم جنوب صيدا .. تقتيلاً وتدميراً وتشريدا .. على مسمع ومشهد من موسكو وواشنطون ونيويورك ، ومن أتباع موسكو وواشنطون وطلاب السلام في نيويورك .. بعد أسابيع معدودة على الاتفاقات المحلية لإرغام منظمة التحرير الفلسطينية على التعهد الصريح بعدم (الاعتداء) على المعتدي الغاصب والمحتل ، وبعد أيام معدودة من النصائح الصادرة عن جهات عربية تقول لمنظمة التحرير الفلسطينية ألا ترتكب أعمالاً (تستفز) إسرائيل ، وتعطيها (الحجة المبررة ظاهرياً) لمزيد من التعنت والعدوان ، وكأن إسرائيل في حاجة إلى استفزاز أو مبررات .. ولم يمض يوم واحد على العدوان الجديد ، والدرس الجديد حتى وقف زعماء النصارى في لبنان يعلنون أنهم يعارضون انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان انسحاباً كاملاً ، و(يناشدون) حكومة لبنان بالعمل على بقاء القوات الإسرائيلية في أرض لبنان لتستكمل (رسالة السلام) . وهي تعدّ المزيد من الميليشيا النصرانية في الجنوب حتى تستأنف دورها في التدمير والتقتيل والتشريد بعد الانسحاب وتسليمها المواقع العسكرية

* * *

يا من تنشدون (السلام) على حساب القضية .. على حساب الأم تئنّ مع أنين رضيعها تحت الأنقاض ، على حساب الزوج تبكي زوجها المحرّق بقنابل النابالم ، على حساب نظرة الشريد الوفية صوب أشجار الزيتون والبرتقال، على حساب دمعة الشيخ العاجز يودّع الدنيا وهو يوصي أبناءه وأحفاده ألا ينسوا أرض الإسراء والمعراج ..

يا من تنشدون (السلام) وإسرائيل تبادركم بالطائرات والدبابات والقنابل والمدافع .. متى تنشدون وجه الله وتبادرون إلى الجهاد ؟!

وأيّ سلام تنشدون ؟!

وأيّ الأبواب تطرقون ؟!

إلى متى تتوهمون السلام أو توهمون به شعوبكم في أحضان موسكو أو على أعتاب واشنطون ؟!

وبماذا تفسرون موقف موسكو وهي تكيل لكم الوعود ، وتشترط عليكم الشروط ، وتتخلى عن إخوانكم في هذا البلد ، وتحيك ضدهم ما تحيك في البلد الآخر ، ثم تمضي بعد ذلك كله في تزويد إسرائيل بمزيد من اليهود المستعمِرين .. فتسمح في الأشهر الأربعة الأولى من هذا العام ، عام السلام ، بمضاعفة عدد المهاجرين اليهود السوفييت باتجاه فلسطين ، في نفس الوقت الذي تقام فيه المستعمرات الجديدة ويعلَن عن بناء ست مدن أخرى في الضفة الغربية المغتصبة .. ثمانية آلاف يهودي سوفييتي خلال الفترة المذكورة ، أيّ ضِعْفَ عدد المهاجرين في مثل تلك

الفترة من عام ١٩٧٧م ، وما يعادل ٢٤ ألفاً في العام ، بزيادة بضعة آلاف عن المتوسط السنوي لهجرة السوفييت إلى أرضنا المغتصبة منذ النكبة الأولى

وبماذا تفسّرون موقف رومانيا –ودور رومانيا من أجل السلام موضع التمجيد– وهي أكبر مصدر شرقي للهجرة اليهودية ، حتى أنه لم يبق فيها اليوم سوى بضع وعشرين ألف يهودي روماني وكان فيها ٣٥٠ ألفاً إبّان النكبة الأولى في فلسطين ؟! . بل لم يعد فيها إلاّ القليل من الراغبين في الهجرة أصلاً ، حتى أن الحكومة الرومانية لم تعد تجد أكثر من حوالي الألف يهودي هذا العام ، تسمح لهم بالهجرة ليشاركوا من سبقهم في بناء الكيان الغاصب على أرض المشرَّدين والمستعمَرين من أبناء فلسطين

* * *

أم تنشدون (السلام) على أعتاب واشنطون ؟!

ومتى كانت أعتاب واشنطون أنظف من أعتاب موسكو ؟! أم أن الدعم العالمي السافر المستمر بمليارات الدولارات ومئات الطائرات وألوف الدبابات وأنواع القنابل الحارقة والعنقودية المتناثرة .. أدعى لديكم إلى الموالاة والتبعية ؟! أم تريدون منافسة اليهود ، وكيانِ اليهود –وهو الولاية الأمريكية الحادية والخمسون– على محبة واشنطون، وودّ المعسكر الغربي من وراء واشنطون ؟!

لقد قدمتم ، وخضعتم ، وخدمتم ، وتنازلتم ، وتخليتم .. فما الذي عاد به عليكم هذا كله من وعود –على الأقل– على شفاه الرئيس الأمريكي ؟! .

(لا) .. يقولها هذا الرئيس أصرح وأوضح ما تكون لما وصلت إليه الأهداف المعلنة من المطالبة بالانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة في النكبة الثانية فقط ، يقولها ولو تخلى عن أرض الإسراء والمعراج المحتلة في النكبة الأولى سائر المسلمين وليس مجرد بضعة أفراد أو فئات يحكمون ويتحكمون بمختلف الوسائل

(لا) .. يقولها أصرحَ وأوضح ما تكون لقيام الدولة الفلسطينية التي جُعلت شعاراً وهدفاً ، بعد مسخ أرضها ، ومسخ حقوق أبنائها ، واقتران المطالبة بها بتقديم الضمانات والتعهدات لسلامة دولة العدوان بكل سبيل وشكل .

(لا) .. يقولها صريحة واضحة ، يسمعها أنصار الحل الأمريكي أعداء الحل السوفييتي ، ويسمعها أنصار الحل السوفييتي أعداء الحل الأمريكي .. على السواء ، يقولها ويلتقي بها مع أجنحة الصقور وأجنحة الحمائم المزعومة جميعاً داخل الكيان الغاصب

(لا) .. يقولها لكل من لا يزال يحسب واهماً ، أو يوهم بلادنا عامداً أنّ الأمريكي قادر على الخروج من جلــده وكسر نطاق التحالف الصليبي–الصهيوني المعاصر ضدّ الإسلام والمسلمين .. فيتخلى تخلياً جزئياً على الأقل عن بعض انحيازه السافر إلى جانب إسرائيل وهي تعتدي ، وتكرر العدوان ، وتستخدم في ذلك الأسلحة الأمريكية ، وتــستعين بالقوات النصرانية في لبنان ، ولا تلتفت بقليل أو كثير إلى وجود قوات دولية في المنطقة كما يفعل سواها

* * *

واستمعوا إلى كلمات (كارتر) الصادقة ، يقولها في واحد من أصل مائة احتفال كبير شهدتها الولايات المتحــدة الأمريكية .بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على قيام إسرائيل .. وتشريد مئات الألوف من ديارهم بفلــسطين .. يقولهــا فيستمع إليها (بيغن) بجانبه ، ويستمع إليها أنصار (الحل الأمريكي) في أيّ مكان كانوا :

(سيبقى موضع الفخر والاعتزاز في تاريخنا إلى الأبد ، أن الولايات المتحدة الأمريكية كان أول دولــة تعتــرف بكيان إسرائيل الشرعي عام ١٩٤٨م .. وربما كانت لنا بعض خلافاتنا المؤقتة مع زعماء إسرائيل كما هو الحال مــع زعماء دول أخرى صديقة وحليفة لنا ، ولكنّ صداقتنا العميقة وتحالفنا الوثيق مع إسرائيل لن يتعرضــا إلى الاهتــزاز لحظة واحدة ، ولن يتأثر التزامنا المطلق الدائم لإسرائيل وأمنها وسلامتها ..

لقد وقفنا ثلاثين عاماً إلى جانب الأمة الإسرائيلية المستقلة العزيزة بنفسها ، وأستطيع أن أقــول دون أيِّ تحفــظ كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، إننا سنتابع ذلك في المستقبل أيضاً ، ليس لمدة ثلاثين عاماً أخرى فحسب ، بل إلى الأبد)

* * *

نعم ..

إنّ إسرائيل تواجه خلافات سياسية داخلية –كما تقولون– ولكن ليس على قضية السلام تختلفون عليهــا ، بــل على طريقة التعامل مع الحكومات العربية التي تمدّ لها يد السلام هنا وهناك .. وهم يدركون بحمــائمهم وصــقورهم المزعومة على السواء ، أنهم قادرون على التمسك بمطامعهم التوسعية العدوانية في أرضنا ما دامت حال الدول العربية على ما هي عليه اليوم من تبعية للشرق أو للغرب ، وخدمة لمصالح الشرق أو الغرب ، ونزاع علــى منــاطق نفــوذ الشرق والغرب .. بعيداً بعيداً عن صلب القضية ومحورها الأصيل ، وعن المبادرة إلى الجهاد الذي لا سبيل إلى استعادة الحق المغتصب والوطن السليب

وأين .. أين من الحمائم والصقور الذين تبحثون عنهم من يعترفون بوجود شعب فلسطين المشرد والمستعمر ؟!

أين منهم من أعلن الاستعداد بكلمة واحدة وبعد كل التنازلات المقابلة عن الحق التاريخي الأصيل ، للإقرار بالسيادة (العربية) على جزء من الأرض المحتلة غرب الأردن وفي قطاع غزة ، ولا نقول في الأرض السليبة منذ عام ٤٨م ؟!

أين منهم من أعلن الاستعداد بعد كل التنازلات المقابلة ، للحديث ، مجرّد الحديث عن القدس الشرقية المحتلة عام ٦٧م لا عن القدس الغربية المحتلة قبل ثلاثين عاماً فقط ؟!

نعم ..

هم على خلاف سياسي داخلي ، ولكنه ليس إلاّ على الأسلوب الأمثل لتثبيت دعائم الكيان الغاصب في أرضنا المحتلة عام ٤٨م وأرضنا المحتلة عام ٦٧م على السواء

أم أنكم لا تسمعون شيئاً عن ٣٥ ألفاً من البدو في صحراء النقب ، شرّدهم اليهود من حقولهم وبساتينهم عام ٤٨م ، وأجبروهم على حياة الرعي والترحال في الصحراء ، وعاد اليهود إلى تشريدهم من واحاتهم الخضراء من جديد ، يهدّمون خيامهم بالجرارات والسيارات المصفحة ، ويغتصبون كل ما لديهم من حبوب ، ودقيق ، وسكر ، وشاي ، ومال ، ومتاع .. ويطردونهم من كل مكان إلى مكان ، فإلى من يلجؤون أيها العرب والمسلمون ، وفي أية بقعة من الأرض يعيشون ؟!

أم أنكم لا تسمعون عن المخطط الذي وضعه وأعلنه وزير دفاع إسرائيل (وايزمان) الذي تصفونه من -الحمائم- لإقامة ست مدن يهودية جديدة في الضفة الغربية حول القدس المحتلة ، تتسع لـ ١٦٠ ألف يهودي ، ولا مكان لإقامتها إلاّ بمصادرة المزيد من الأراضي ، وتشريد المزيد من ألوف الرجال والأطفال والنساء من إخوانكم المسلمين أيها العرب والمسلمون ، فإلى من يلجؤون ، وفي أية بقعة من الأرض يعيشون ؟!

أم أنكم لا تسمعون عن (مطار أوفيرا) الجديد في سيناء وعن عمليات البناء التي لا تنقطع لتثبيت الاحتلال اليهودي في شرم الشيخ ، وعن عمليات التوسيع المستمرة في المستعمرات القديمة والجديدة في الضفة الغربية .. تقوم جميعاً ، تحت مظلة السلام ، ومظلة المفاوضات من أجل (السلام) ؟!

ألا تسمعون عن هذا كله .. وهنا صلب القضية ومحورها أيها الحكام العرب والمسلمون ؟!

نعم ..

إنّ إسرائيل تواجه ضائقة اقتصادية ومالية كبيرة .. كما تقولون .. نسبة التضخم فيها تزيد على ٣٠% ، والعجز في ميزان مدفوعاتها يزيد على 1,8 مليار دولار ، ولكن هذا لم يمنعها من تخصيص ثلث ميزانيتها الجديدة للنفقات

العسكرية ، لاستيراد أحدث الأسلحة الأمريكية وصناعة الطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ والقنابل محليـــاً .. فهل تريدون إيهامنا بأن حرص اليهودي على باطله يدفعه إلى التضحية أكثر من حرص المسلم على حقه ؟!

لقد قدم المسلمون التضحيات بلا حساب من أجل استعادة أرضهم السليبة ، وهم على استعداد لتقديم المزيـــد .. ولكن ليس من أجل توجيه تضحياتهم وإمكاناتهم لتخفيف حجم الضائقة الاقتصادية على إسرائيل بتخفيـــف قيـــود المقاطعة العربية يوماً بعد يوم ، كما تنقل الأنباء عن التبدل الطارئ في معاملة الشركات الأمريكية في الأسابيع الأخيرة

على استعداد لتقديم المزيد .. ولكن ليس من أجل سلامٍ يأباه الإسلام والمسلمون لما فيه من مهانة ومذلة وتخـــلٍّ فاضح عن الحق الثابت على مرّ التاريخ وإلى قيام الساعة .. وتأباه إسرائيل نفسها لأنه لا يسدّ سائر المطامع الصهيونية التوسعية والعدوانية في أرضنا ، وإن كان يحقق أكثر مما كانت تصبو إليه قبل سنوات معدودة ..

على استعداد لتقديم المزيد .. يوم تعلن الحكومات العربية من جديد الموقف الوحيد الذي يرضى بـــه الإســـلام والمسلمون ، يوم ترتفع بقضية فلسطين إلى مستواها الحقيقي ، فلا تجعل منها مسألة حـــدود وأمـــن ، ولا مـــسألة مفاوضات مباشرة في المنطقة أو في جنيف ، ولا مسألة تحرير جزئي بالوسائل الدبلوماسية والـــسياسية ، ولا مـــسألة استرجاع لأرض مغتصبة مقابل التخلي عن أرض مغتصبة أخرى .. يوم ترتفع الحكومات العربية بنفسها إلى مستوى القضية ، فلا تتشاغل بمصالح صراع النفوذ الدولي في المنطقة وحولها ، وبالخلافات المحلية على حدودها وخارجهـــا ، وبالدفاع عن المبادئ الغربية أو الشرقية ، الرأسمالية أو الشيوعية ..

يوم تنطلق من منطلق الإسلام في تسيير أمورها وحكم شعوبها ، وتعلن قضيةَ فلسطين قضيةَ الإسلام والمـــسلمين جميعاً ، قضية التحرير الكامل واستعادة الحق السليب ، وتبادر إلى الجهاد بكل طاقات الأمة وإمكاناتها ، ولن يستحيل النصر على من يملك هذه الطاقات والإمكانات بعون الله